الوحدة الثالثة

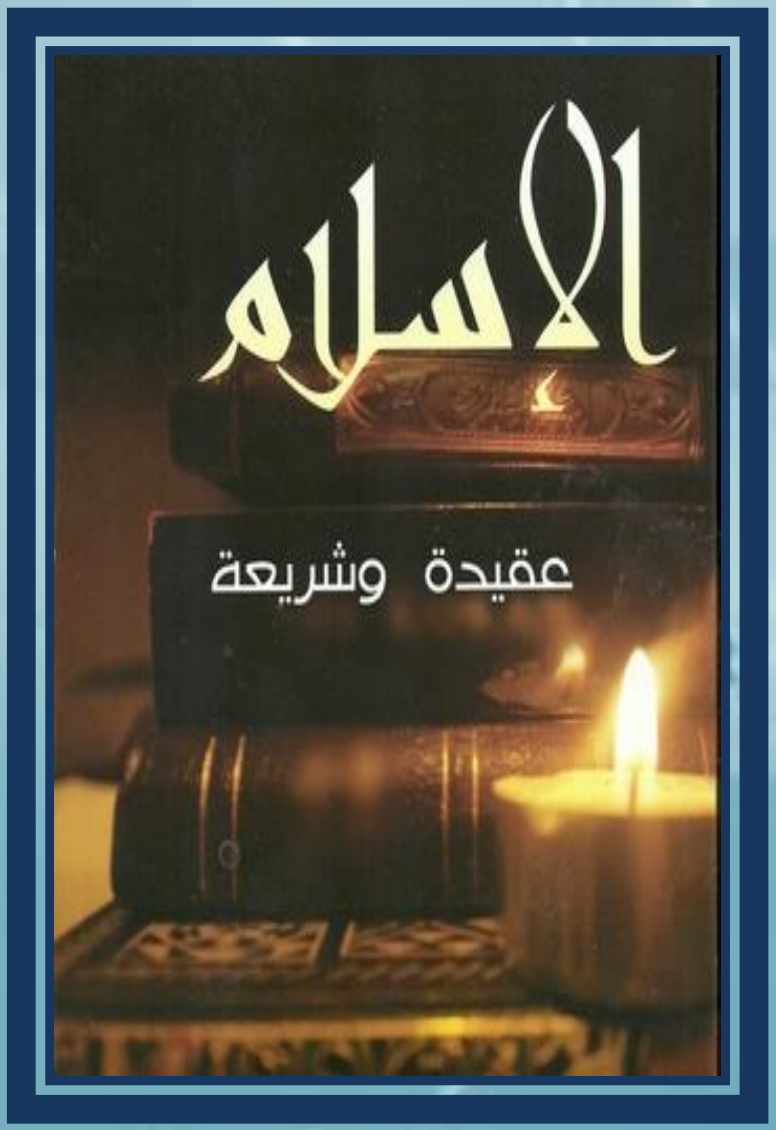

الإسلام
عقيدة وشريعة

إعداد
د. موسى معطان د. منى رفعت

أوّلاً:

العقيدة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام عقيدة وشريعة

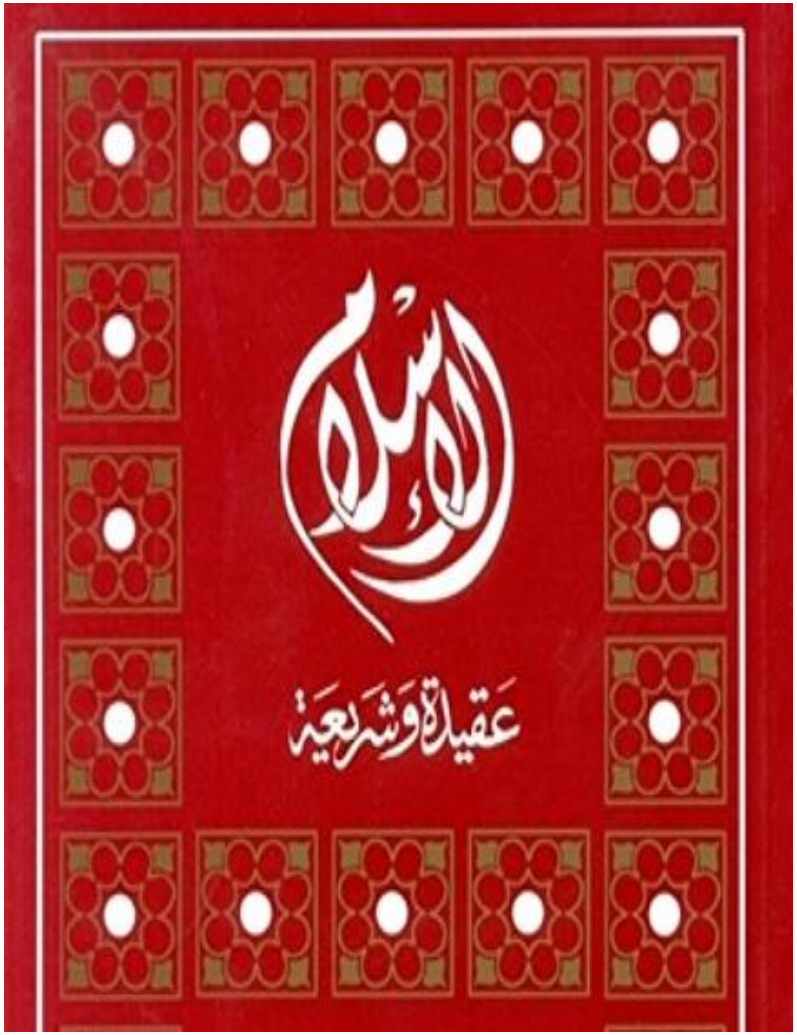

الإسلام عقيدة وشريعة، حيث تمثّل :

١- العقيدة الجانب النظري الذي يجب التصديق به.

٢- بينما تمثّل الشريعة الجانب العملي الذي يجب تطبيقه.

مفهوم العقيدة الإسلاميّة

- **العقيدة مصطلح أطلقه علماء المسلمين على قضايا الإيمان:** علماً بأن القرآن الكريم والسنة النبوية لم يعبرا عن هذه القضايا بلفظ العقيدة، وإنما عبّرا عنها بلفظ الإيمان ومشتقاته، ولا شكّ أنّ لفظ الإيمان يبقى أكثر قرباً للقلب والنفس من أيّ لفظ آخر.
- **والعقيدة لغة:** من عَقَدَ الحبلَ والبيعَ والعهدَ، أي ربطه ووثّقه وشَدَّه، وهي معانٍ تفيد القوة والإحكام، وهكذا عقيدة المؤمن في قوّتها وتمكّنها من نفسه.
- **والعقيدة تشمل الجانب النظري في الإسلام،** الذي يجب الإقرار به إقراراً جازماً لا يخالطه شكّ، ويتمثّل في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء.

١- الإيمان بالله

الإيمان بالله تعالى هو أهم أركان الإيمان وأساس الدين كلّه، وقد قرّر علماء العقيدة أنّ الإيمان بالله تعالى لا يتمّ إلا بتوافر ثلاثة أنواع من التوحيد.

١- توحيد الربوبيّة: وهو الإقرار بوجود الله تعالى وإيجاده للمخلوقات، وعنايته بهم وتصرّفه فيهم بالرزق والنفع والضر والإحياء والإماتة وغيرها.

٢- توحيد الألوهيّة: وهو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، من صلاة ودعاء ونذر وخوف ورجاء وغيرها.

٣- توحيد الأسماء والصفات: وهو الاعتقاد بأنّ الله تعالى متّصف وحده بصفات الكمال، ومنزّه عن صفات النقص ومشابهة المخلوقات، فالله تعالى عليم لا يعزب عن علمه شيء، قدير لا يعجزه شيء، عادل لا يصدر منه ظلم، وهو تعالى لا يحدّه مكان ولا زمان، ولا تعتريه عوارض النقص، فلا يجهل ولا يندم ولا يتعب ولا ينام ولا ينسى.

هذه الآية الكريمة تضمّنت شقّين:

١- شِقّ تنزيه الله تعالى بنفي مشابهته لأيّ شيء.

٢- وشِقّ إثبات صفات الكمال لله تعالى.

أتعلّم:

أكّدت الآية الكريمة على تنزيه الله تعالى عن مشابهة أيّ شيء من مخلوقاته، بأسلوب بلاغي غير معهود حيث:

١- نفت تلك المشابهة بأداتين متتابعتين من أدوات التشبيه: الكاف والمثل.

٢- أو أنّ الآية أكّدت على تنزيه الله تعالى، إلى حدّ أنها نفت المشابهة عن مثيله، لتبعيد المشابهة عن الأصيل وهو الله تعالى، مع أن الله تعالى لا مثيل له، وإنّما جرت الآية على عادة العرب في التعبير.

الإيمان بالله تعالى تفتضيه الفطرة وبدهيات العقل

أولاً: الإيمان بالله تعالى تفتضيه الفطرة

الإيمان بالله تعالى **فطرة** مركوزة في نفس كلّ إنسان، وأكثر ما تظهر في أوقات الشدة، وهو ما أكثر القرآن الكريم من تذكير الكافرين به.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ يونس: ٢٢ - ٢٣

ثانياً: الإيمان بالله تعالى تفتضيه بدهيات العقل

الدليل الأول: والإيمان بالله تعالى يهدي إليه **التفكير** في هذا الخلق العظيم، لأنّ العقل يُحيل وجود أي شيء دون سبب أوجده، وخاصة إذا كان على نحو تام من الإتقان والإحكام.

المثال الأول: لو دخلتَ داراً ووجدتَ الأثاث مرتّباً بنظام وإحكام وإتقان وجمال، فإنّ أوّل ما تسأله: من المبدع الذي قام بترتيب الأثاث على هذا النحو الجميل المتقن؟

المثال الثاني:

ولو قلنا لإنسان إن سيارة مثلاً قد تحرّك محرّكها وسار بها في طريق معيّن، دون أن تصطدم بشيء، وأنها كانت تقف على إشارات المرور، وتتحاشى الاصطدام بأي جسم أو إنسان، حتى انتهى بها المقام إلى أن ركنت نفسها بإحكام إلى جانب طريق، في مكان غير ممنوع الوقوف فيه - إننا لو ذكرنا هذا لأيّ كافر أو ملحد، وقلنا له: إن ذلك كله تمّ دون فعل فاعل، ودون توجيه من أحد، لاتهمنا بالهذيان والجنون!!

فكيف يستسيغ هذا الجاحد وجود هذا الخلق العظيم المحكم المتقن الدقيق، في السماوات والأرض والإنسان، دون خالق أحكمه وأتقنه وأحسن خلقه؟! وهو ما تعجب منه القرآن الكريم في أكثر من موضع .

﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الطور: ٣٥ - ٣٦

الدليل الثاني: ونفي الشريك لله تعالى يدل عليه العقل أيضاً، قال تعالى:

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٢

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ المؤمنون: ٩١

الدليل الثالث: وإثبات صفات الكمال لله تعالى وتنزيهه عن كلّ نقص، من مقتضيات العقول السليمة، إذ لا يكون إلهاً مَن يكون عاجزاً أو مشابهاً لما خلق، فيما يعتريهم من صفات نقص وأحوال ضعف، قال تعالى:

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الزمر: ٦٧ ٩١

أكثر ما يخل به الناس من أنواع التوحيد

يؤمن أكثر الناس بوجود الله تعالى وربوبيّته، ولكنّهم **يخلّون بتوحيد الألوهية وبتوحيد الأسماء والصفات:**

فالمشركون يقرّون بأنّ الله تعالى هو الخالق الرازق، وأن آلهتهم وأصنامهم، ليسوا شركاء لله في خلق السماوات والأرض، ومع ذلك فإنهم يشركونها مع الله تعالى في العبادة، وهو ما تعجّب منه القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ يونس: ٣١

مظاهر الإخلال بتوحيد الألوهية:

الإخلال بتوحيد الألوهيّة لا يقتصر على التوجه بالعبادة إلى صنم أو شمس أو قمر، بل قد يتخذ صوراً أخرى أكثر خفاء، مثل:

١- اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين.

٢- وتحكيم غير شرع الله تعالى، لأن إفراد الله تعالى بالخلق يقتضي إفراده بالأمر والتشريع. قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الأعراف: ٥٤

مظاهر الإخلال بتوحيد الأسماء والصفات:

ويخلّ كثير من الناس بتوحيد الأسماء والصفات حين يشبهون الله تعالى بمخلوقاته:

١- فقد كان فلاسفة اليونان يعتقدون خطأ، أن الله تعالى لا يعلم تفاصيل ما يجري من أحداث في الكون.

٢- بينما يعتقد أتباع بعض الديانات خطأ، أنه تعالى يندم ويتعب وينسى، وأنه فقير، ويده مغلولة.

٣- وبعضهم يعتقد خطأ أنه تعالى يلد مثل البشر، ويتخذ زوجة، سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً.

٢- الإيمان بالملائكة

- **معنى الإيمان بالملائكة:** هو الإقرار بوجود مخلوقات الله تعالى، بطبيعتهم وصفاتهم ووظائفهم، كما بيّنها الله تعالى لنا في كتابه وسنة نبيّه.
- **ومن صفاتهم:** أنهم مخلوقون من نور، متمحضون لعبادة الله تعالى، لا يتعبون ولا يملون ولا ينامون ولا يعصون، ولا شهوة فيهم، فلا يأكلون ولا يتزاوجون، ولهم قدرات خارقة.
- **ذكر القرآن الكريم بعضهم،** مثل : جبريل وميكائيل ومالك.
- **ولهم وظائف مخصوصة:** فمنهم من هو موكّل يحمل العرش، ومنهم من هو موكّل بنار جهنم، ومنهم من هو موكّل بكتابة أعمال العباد، ومنهم من هو موكّل بإنزال الكتب السماوية على الرسل، ومنهم من يرسله الله تعالى لنصرة المؤمنين وتثبيتهم.

ومن آثار الإيمان بهم:

١- تقوية إيمان المؤمن بالله تعالى.

٢- وتشجيعه على طاعته والأنس بعبادته، حين يؤمن أنّ هناك مخلوقات عظيمة وكثيرة، تقوم بعبادة الله تعالى ليل نهار دون تعب أو كلل.

٣- الإيمان بالكتب السماوية

معنى الإيمان بالكتب: هو الإقرار بأن الله تعالى أنزل كتباً لهداية الخلق، ذكر القرآن الكريم بعضها: مثل: **التوراة** التي نزلت على موسى، و**الزبور** الذي أنزل على داود، و**الإنجيل** الذي أنزل على عيسى ، عليهم السلام جميعاً.

يمتاز القرآن الكريم عن بقية الكتب بما يلي:

١- القرآن الكريم آخر الكتب السماوية، وهو كتاب الله تعالى لكل الناس إلى آخر الزمان، وأما الكتب السابقة فمحدودة بزمانها ومكانها وبأقوام مخصوصين، ولذلك فالحجة على البشريّة في العقيدة والحلال والحرام، إنما هي بالقرآن الكريم، المهيمن (أي: الشاهد، الأمين، الرقيب، الحاكم) على ما سبقه من كتب، خاصة بعد تحريف الناس لها.

٢- أما القرآن الكريم فقد تكفّل الله تعالى بحفظه من التحريف والتبديل، حتى يبقى صالحاً لجميع الناس كما نزل إلى قيام الساعة. قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾(الحجر، ٩) بينما الكتب السابقة لم يتكفل الله تعالى بحفظها، لأنها كانت لأمم محدودة وليس للناس كافة، فسعى بعض الناس إلى التبديل والتغيير فيها، كما قال الله تعالى فيهم: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ (النساء: ٤٦)

٣- الإيمان بالكتب السماوية

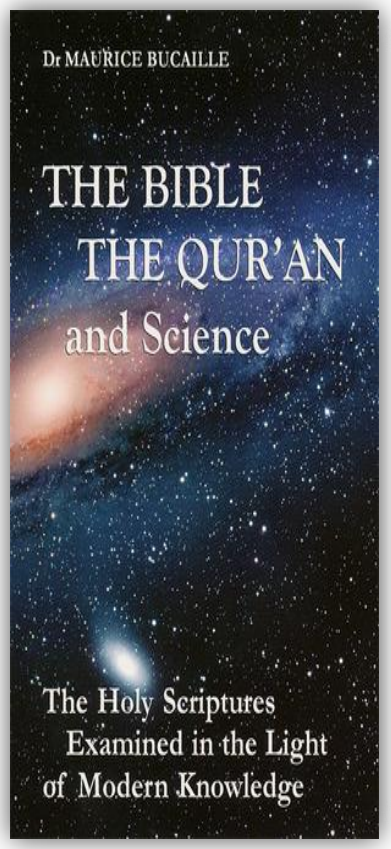

ومن الأدلّة على التبديل في الكتب السابقة:

١- وجود تناقضات عديدة فيها، لا يمكن معها أن تكون هي كلام الله تعالى كما أنزل، وذلك بخلاف القرآن الكريم الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ **النساء: ٨٢**

٢- في بعض الكتب السابقة نصوص تَنسب إلى الله تعالى ما لا يليق به، من الجهل والندم والتعب والضعف وغيرها.

أتأمّل : لا يزال التبديل على الكتاب المقدّس مستمراً إلى الآن ، فبين فترة وأخرى يصدر الكتاب المقدّس وعليه عبارة: « طبعة مزيدة ومنقحة »

٤- الإيمان بالرسل (عليهم السلام)

- **معنى الإيمان بالرسل (عليهم السلام):** هو الإقرار بأن الله تعالى أرسل رسلاً إلى الناس لهدايتهم، اختارهم الله تعالى من بين الناس، لما يتميّزون به من مميزات، كالصدق، والأمانة، والإخلاص، كي يكونوا قدوة للناس، ولا يتشكك أحد في صدقهم، وعصمهم الله تعالى، وحفظهم من الخطأ في الوحي.
- **والإيمان بالرسل والرسالات السماوية تقتضيه العقول والتفكير السليم ؛** لأنّ العقل حين يُثبت لله تعالى صفات الكمال، ينزّهه عن أن يخلق الخلق ثم يُسيّبهم ضائعين دون هداية، أو يتركهم تائهين دون إرشاد وعناية، قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ ﴾ (الأنعام: ٩١)

٤- الإيمان بالرسل (عليهم السلام)

البشارة بالنبي محمد ﷺ : ذكر القرآن الكريم أسماء خمسة وعشرين رسولاً ونبياً، وكان آخرهم محمداً ﷺ، وقد بشّر به موسى وعيسى (عليهما السلام)، وأمرا قومهما باتباعه، كما قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾

الأعراف: ١٥٧

وقد بقيت بعض النصوص، إلى اليوم في التوراة والإنجيل، تشير إلى التبشير بمجيء النبي محمد ﷺ ، وإن كان ذلك بأسلوب رمزي غير صريح. ومن الأمثلة على ذلك:

١- من التوراة: ما جاء في الباب (٣٣) من سفر التثنية: (جاء الرب من سيناء، وأشرق لنا من ساعير، واستعلن من جبل فاران) فذكر **سيناء** إشارة إلى نبوة موسى عليه السلام، و**ساعير** اسم قرية من قرى الناصرة، ففي ذلك إشارة إلى نبوة عيسى عليه السلام ، و**فاران** اسم مكة بالعبرانية، فذكرها إشارة إلى نبوة محمد ﷺ.

٢- ومن الأمثلة على ذلك من الإنجيل: ما جاء في الباب (١٤) من إنجيل يوحنا: (إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم **فارقليط** آخر ليثبت معكم إلى الأبد) **والفارقليط** تعريب باللفظ للكلمة اليونانية (Parakletos بيركلوطوس)، ومعناها: المحمود أو مستحق الحمد. وذلك هو الوصف الذي يُطلق على محمد ﷺ فهو محمد وهو أحمد وهو محمود.

٤- الإيمان بالرسل (عليهم السلام)

ما من نبي إلا وأُمِرَ باتباع محمد ﷺ وبشر قومه بمجيئه، وأمرهم باتباعه

قال تعالى:

٥- الإيمان باليوم الآخر

- **معنى الإيمان باليوم الآخر:** هو الإقرار بأن هناك يوماً تنتهي فيه الحياة الدنيا، ويقضي فيه الله تعالى بين العباد، ويعقب ذلك مصير إلى الجنة أو إلى النار.
- **وقد بيّن الله تعالى في كتابه المراحل المتعاقبة لهذا اليوم:**

١- فهي تبدأ بأهوال وانهيار هائل في نظام الكون، صوّره القرآن الكريم لنا تصويراً مخيفاً في مواضع عديدة، منها قوله تعالى:

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢ ﴾ الحج: ١ - ٢

٢- ويعقّب ذلك نفخة في الصور، يصعق منها من في السماوات والأرض إلا من شاء الله تعالى، **ثم ينفخ في الصور مرة أخرى،** يُبعث على إثرها من صعق، وكل من مات من الخلائق من قبلُ منذ آدم عليه السلام فيقضي الله بين العباد بما كان منهم في الدنيا ، ثم يجازي كلاً منهم بالجنة أو النار.

٥- الإيمان باليوم الآخر

كيف نردّ على من أنكر اليوم الآخر؟

١- **الإيمان باليوم الآخر مما تقتضيه العقول السليمة** ذلك أنّ الإنسان يشاهد الناس يظلم بعضهم بعضا، ويعتدي بعضهم على بعض، ويموت كثير من الظالمين والمعتدين دون عقاب، وتنتهي حياة كثير من المظلومين والمستضعفين دون إنصاف، ولا يُعقل أن يكون الله تعالى الحكيم العادل قد خلق هذا الخلق العظيم وكل هذه المليارات من الناس منذ آدم عليه السلام وإلى يومنا، يتعاقبون جيلاً بعد جيل، لينتهوا تلك النهايات الظالمة، دون قضاء وانتصاف وإحقاق حق، ودون مكافأة للمحسن ومعاقبة للمسيء.

ولذلك عجب القرآن الكريم ممن ينكرون اليوم الآخر، كيف يظنون أنّ الحياة الدنيا هي نهاية المطاف ، وأنّ الله تعالى يترك الظالمين دون عقاب، والمستضعفين دون انتصاف وجزاء، قال تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ القلم: ٣٥ – ٣٦

٢- **وفي ذلك الإنكار لليوم الآخر، أيضاً إساءة ظن بالله تعالى**، حيث يظنون به الظلم والعبث، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾

المؤمنون: ١١٥ - ١١٦

والإيمان باليوم الآخر له أثر كبير في استقرار المجتمع واستقامة أفراده، لأنّ الإنسان ينضبط سلوكه ويستقيم، حين يوقن أنه سيُعاقب على كل ظلم وشر، وسيُثاب على كلّ برّ وخير، ولذلك اهتمّ القرآن الكريم بهذا الركن من أركان الإيمان، وأكثرَ من الجمع بينه وبين الإيمان بالله تعالى.

٦- الإيمان بالقضاء والقدر

معنى الإيمان بالقضاء والقدر: هو الإقرار الجازم بأن الأشياء والأحداث، توجد حسب علم الله تعالى المسبق الشامل وإرادته المطلقة.

الفرق بين القضاء والقدر:

القدر: علم الله

والقضاء: إيجاد الله الأشياء حسب علمه وإرادته.

فلا شيء في هذا الكون يحدث اعتباطاً، فالله تعالى هو الذي قدّر منذ الأزل ما يحدث قبل أن يحدث، وكيف ومتى وأين سيحدث، وسجل ذلك في كتاب لم يفرط فيه بشيء، قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾ ﴾ القمر: ٤٩

والإيمان بالقضاء والقدر فرع من الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته: إذ هو إيمان بعلم الله تعالى الشامل التام، وإرادته المطلقة، وقدرته التي لا حدود لها على فعل ما يريد، وذلك على الله تعالى يسير، كما قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ الحديد: ٢٢

٦- الإيمان بالقضاء والقدر

وللإيمان بالقضاء والقدر آثار عظيمة في نفس المؤمن، أشار إلى أهمها قوله تعالى:

الفرق بين القضاء والقدر:

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣ ﴾ الحديد: ٢٢ - ٢٣

فالمؤمن يواجه المصائب بنفس راضية مطمئنة صابرة:

- **ولا يرهبه تهديد بالقتل أو توعّد بقطع الرزق.**
- **ولا يخاف ولا يجزع ولا ييأس.**
- **ولا يداري أحداً ولا ينافقه في حق.**
- **وإذا أصابه خير لا يغترّ ولا يتكبّر على الناس.**

لأنه يعلم أنه لا يحدث له شيء إلا بإذن الله تعالى وعلمه، وأنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

الإيمان بالقضاء والقدر ومسؤولية الإنسان عن أفعاله:

الأحداث في الحياة نوعان:

١- **إما أحداث كونيّة:** مثل حركة الشمس والقمر والرياح والأمطار.

٢- **أو أحداث إنسانية**، وهي نوعان:

- **إجباريـة:** لا دخل للإنسان فيها مثل ولادته وموته ونسبه وطوله ولونه.
- **اختياريّة:** مثل اهتدائه وضلاله، واستقامته وعدوانه، وطاعته وعصيانه.

أما **الأحداث الكونية** وكذلك **الأحداث الإنسانية**، فواضح أنها تقدير مطلق من الله تعالى، ولا اختيار للإنسان فيها.

وأمّا أفعال الإنسان الاختياريّة، فهي التي تثير تساؤل الناس كلما شُرِحَ لهم معنى عقيدة القضاء والقدر، إذ سرعان ما يواجهون الشارح بسؤال معهود، وهو:

« إذا كان كل شيء يحدث بمشيئة الله تعالى وعلمه، ولا يمكن أن يفعل إنسان ما لم يأذن به الله تعالى، فأين هي حريّة الإنسان واختياره؟ وكيف يحاسب الله تعالى الناس على الماضي، مع أنها مقدّرة ومكتوبة مسبقاً، ولا مفرّ من حدوثها»؟

جواب القرآن عن هذا السؤال

إن استشكال الجمع بين عقيدة القضاء والقدر واختيار الإنسان، **استشكال قديم احتجّ به المشركون والعصاة لتسويغ شركهم و معاصيهم**، وهو ما حكاه القرآن الكريم وردّ عليه، قال تعالى:

﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾

الأنعام: ١٤٨ - ١٤٩

وقد تضمنت الآيتان الكريمتان ثلاثة ردود رئيسية على هذه الشبهة:

الرد الأول: أنه لو كان المشرك والعاصي مُجبراً على ما صدر منه، لما استحق معاقبة الله تعالى. كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ وفي هذا الرد إحالة على ما يشعر به كل إنسان ويعلمه من نفسه، أنه مختار ومسؤول مسؤولية تامة عما يفعل، في حين يرتكب خطيئة ما ، كالقتل مثلاً، يؤنّب نفسه، ويدرك أنه لو عوقب على فعلته، أن ذلك يكون عين العدل.

الرد الثاني: أنّ المشرك والعاصي والمحتجّ بالقدر على معصيته، يزعم أنه ينفّذ إرادة الله تعالى وما كتبه عليه منذ الأزل ، مع أن ذلك المكتوب غيب لم يطّلع عليه. قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴿١٤٧﴾

فهَلا وحّد الله تعالى وأطاعه، ليكون التوحيد والطاعة هما المكتوبين عليه لا الشرك والمعصية ؟! وفي ذلك إشارة إلى أنّ المكتوب عند الله تعالى، ليس الا تسجيلاً مُسبقاً لِما سيقوم به الإنسان بمحض اختياره، ولا يؤثر في هذا الاختيار، فعلم الله تعالى، كما تشير الآية الكريمة، هو (علم مُسبَق كاشف لا يؤثّر في المعلوم).

ونضرب مثالاً واقعياً يقرب إلى الأذهان هذه الحقيقة ، ولله المثل الأعلى :

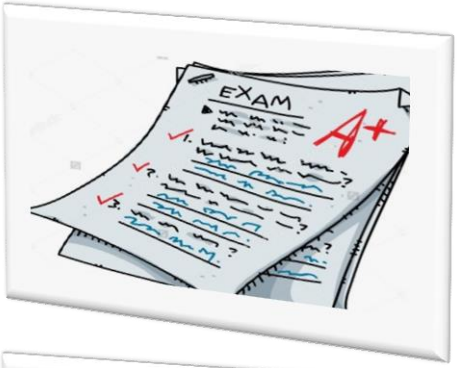

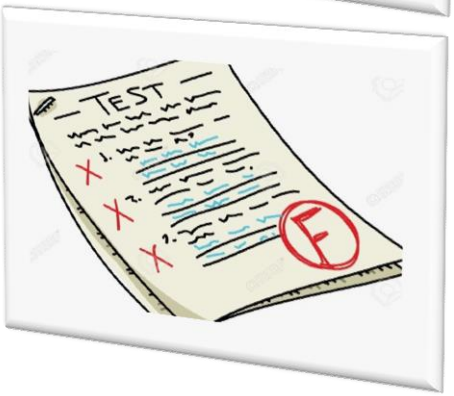

فلو توقّع مدرّس علامات تلاميذه، ومن سينجح منهم ومن سيرسب، وأخبر مسبقاً عن توقعاته أو سجلها، وحدث أن صدقت أكثر توقعاته، فرسب أكثر التلاميذ الذين توقّع لهم الرسوب، ونجح أكثر التلاميذ الذين توقّع لهم النجاح، وحصلوا على علامات مقاربة أو مطابقة لما توقعه لهم، فإنه:

١- لا يستطيع أحد أن يزعم أن توقعات المدرّس كانت هي السبب في نجاح من نجح ورسوب من رسب.

٢- ولا يستطيع أحد أن ينكر ضرورة معاقبة الراسبين أو تأنيبهم، ومكافأة الناجحين والمتفوّقين.

ويتضح هنا أنّ توقع المدرّس المسبق، لم يكن مؤثراً في حدوث ما توقعه، ولم يقم بإجبار أي تلميذ على النتيجة التي توقعها له.

وهكذا هو علم الله تعالى المسبق بما سيفعله العباد، لا يؤثّر في إحداث أفعال العباد، فلله تعالى أن يعاقب من أساء منهم وخالف، ويكافئ من أحسن وامتثل، لكن الفرق بين توقّع المدرّس وعلم الله تعالى، أن علم الله تعالى علم دقيق وشامل وكامل يتناسب مع كمال الذات الإلهية، ولا يمكن أن يتخلّف أو يُخطئ، بينما توقّع المدرّس قد يُصيب وقد يُخطئ.

الرد الثالث: أنّ الله تعالى لو كان مجبراً العباد، لأجبرهم جميعاً على طاعته وعبادته، ولما وُجِدَ مشركون وعُصاة ، لأنّ من أراد تحقيق شيء بالإجبار، فإنما يحقق ما يرضاه ويحبه، لا ما يُغضبه ويُسخطه، فوجود أمثال هؤلاء واحتجاجهم بالقدر على معاصيهم وضلالهم، هو بحد ذاته دليل على كذب احتجاجهم. قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ

أناقش: كيف يمكن أن أفهم نسبة الهداية والإضلال إلى الله تعالى في مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ ﴿٨﴾ ﴾ فاطر: ٨

ارجع إلى المعجم المفهرس للقرآن الكريم في جذري (هدى) و(ضلّ) لأكوّن فهماً شمولياً لآيات الهداية والإضلال.

ثانيــاً:

الشريعة الإسلامية

مفهوم الشريعة الإسلامية

تطلق الشريعة في اللغة على معنيين:

الأول : مورد الماء الذي يرده الناس للشرب.

والثاني: كل شيء يفتح في استقامة وامتداد يكون فيه، ومن هنا سمّي الشراع شراعاً.

وهكذا شريعة الإسلام: فهي الطريق المستقيم الذي يرده العباد للهداية.

- والشريعة الإسلامية في الاصطلاح تُطلق على معنيين:

١- المعنى العام: وهو يشمل جوانب الإسلام النظرية (العقيدة) والعملية (الأحكام العمليّة في العبادات والمعاملات وغيرها مما اصطُلِحَ على تسميته بالفقه.

٢- المعنى الخاص: فيختص بأحكام الإسلام العمليّة ولا يشمل أحكامه النظرية (أي: أنه يختصّ بالفقه دون العقيدة).ولذلك نقول « الإسلام عقيدة وشريعة» ونعني بالشريعة في هذه العبارة» : الأحكام الفقهية العملية في الإسلام، دون حقائق العقيدة.

لقد صاغ العلماء أحكام الشريعة الإسلامية ومقاصدها في عبارات موجزة دقيقة، على شكل قواعد:

١ - تساعد في جمع شتات الفقه.   ٢- وتسهل حفظه وفهمه.

من خلال ما بات يعرف « بقواعد التشريع الإسلامي » أو « القواعد الفقهيّة».

وعدد القواعد الفقهية يبلغ المئات ، بيد أنها ليست على نفس الشهرة والاتساع والأهمية، وأهمّها القواعد الفقهية الأساسية الخمسة.

تعريف القاعدة: قضيّة كليّة منطبقة على جميع أجزائها.

القواعد الفقهية الكبرى

١- قاعدة الأمور بمقاصدها

معناها: أنّ اعمال الشخص وتصرّفاته القوليّة والفعليّة تختلف نتائجها وأحكامها الشرعيّة باختلاف قصد الشخص منها.

- دليل القاعدة: قاعدة الأمور بمقاصدها قاعدة عظيمة من قواعد الشريعة، دلت عليها نصوص كثيرة منها:

قوله (صلى الله عليه وسلم):

« إنما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى» .

- من أمثلتها: من يتزوّج المطلّقة ثلاثاً بقصد أن يطلّقها لتحلّ لزوجها الأول، فإنّ زواجه هذا محرّم وغير مشروع.

٢- قاعدة الضرر يُزَال

معناها:

أنّ كلّ عمل يسبب الضرر للنفس أو للآخرين ، فإنه يكون غير مشروع، ويجب رفعه وإزالته.

❑ **دليل القاعدة:**

١- قوله تعالى: ﴿ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

٢- وقوله : « لا ضرر ولا ضرار» .

❑ **من أمثلتها:**

أن الإسلام يحرم إقامة مصنع كيماويات مثلاً في حيّ سكني، لما يلحق بالسكان من ضرر، ولما يؤدي إليه من تلويث للبيئة وإتلاف لمكوناتها.

٢ـ قاعدة الضرر يُزَال

- ومن القواعد المتفرّعة عنها: قاعدة « سد الذرائع» ومعناها: ان العمل المشروع في الأصل يصبح غير مشروع، إذا وجدت ظروف يؤدي معها إلى مفاسد ومضار، دلّ عليه : قوله تعالى: « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عَدْواً بغير علم» (الأنعام، ١٠٨) فمع أن تسفيه الأصنام هو أمر مطلوب في الأصل، لأنه إحقاق للحق وإبطال للباطل، إلا أنه يصبح منهياً عنه، إذا خشينا أن يرد المشركون على ذلك، بسبّ الله سبحانه وتعالى.

- ومن الأمثلة على قاعدة سدّ الذرائع:

١ـ تعليل النبي ﷺ امتناعه عن قتل زعيم المنافقين بقوله: « دَعْهُ لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » فمع ان التخلص من بعض المفسدين في المجتمع هو أمر مطلوب في الأصل، إلا أنه يصبح أمراً غير مرغوب فيه، إذا خشينا أن يترتّب عليه مفاسد أكبر.

٢ـ قيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقطع الشجرة التي تمت عندها بيعة الرضوان لأنه رأى الناس يكثرون من الصلاة عندها، وذلك منه رضي الله عنه سدا لذريعة الشرك.

٣- قاعدة اليقين لا يزول بالشك

معناها: أنّ ما ثبت بيقين لا يزول إلا بيقين مثله، ولا يزول بمجرّد الشك.

❑ **دليل القاعدة:**

أساسها أن الظن لا يغني من الحق شيئاً.

قال تعالى: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ [يونس: ٣٦].

من أمثلتها: أن من كان توضأ ، ثمّ شكّ إن كان وضوؤه قد انتقض أم لا، فهو على وضوء، لأنّ الشك لا يزيل اليقين.

والأصل بقاء ما كان على ما كان حتى يثبت بشكل أكيد ما يغيّره، ومن هنا جاء اعتبار المتّهم بريئاً حتى يثبت بشكل أكيد إدانته، لأن الأصل في الانسان البراءة.

٤- قاعدة العادة محكَّمة

معناها:

أنّ أعراف الناس وعاداتهم، لها أثر في الأحكام الشرعية المبنيّة على العُرف.

- **ومن الأمثلة على ذلك:** أنه إذا باع شخص لآخر سيارة، ولم يحددا ما يدخل في البيع من التوابع، فإنّ الحكم الشرعي ينبني على ما يقرره العرف في البلد بهذا الخصوص، فتدخل في البيع التوابع التي جرى العرف أن تدخل، مثل إطار السيارة الاحتياطي مثلاً.
- ويمكن القول إنّ كل ما أوجبه الشارع ولم يحدد مقداره ، إنما يُلجأ في تحديد مقداره إلى العرف السائد في البلد.
- **ويجب التنبيه هنا** إلى أنه ليست كلّ أحكام الشريعة تتأثر بالعرف وتتغير بتغيّره، وإنما يقتصر ذلك على المسائل التي تركتها الشريعة لأعراف الناس، ولم يقصد الشارع ثباتها.
- **فهناك أحكام شرعية لم تُبْنَ على العُرْف، بل قصد الشارع ثباتها على مرّ الزمان،** فتبقى كما هي حتى لو جرى العُرف بخلافها أحياناً كانتشار التعامل بالربا باسم الفائدة البنكيّة، فإنّ ذلك لا يجعل الربا حلالاً. وإذا جرى العرف في بلد بكشف النساء لرؤوسهن، فإن هذا العرف فاسد، ولا يجعل السفور وكشف العورات أمراً مباحاً.

٥- قاعدة المشقّة تجلب التيسير

ولأجل ذلك شرع الله تعالى الرخص لعباده...

من أمثلتها:

١- جواز التيمم للمريض بدلًا من الوضوء؛ إذا كان الوضوء يزيد في مرضه، أو يؤخر شفاءه.

٢- جواز الجمع بين الصلاتين أو استحبابه في بعض الأحوال؛ كالسفر، أو المرض، أو المطر الذي يبل الثياب، وتحصل معه مشقة من فعل كل صلاة في وقتها.

وقد صاغ العلماء من هذه القاعدة الكليّة قواعد فرعية متعددة، منها:

قاعدة (الضرورات تبيح المحظورات) وتكملّها قاعدة (الضرورات تقدّر بقدرها) ومنها قاعدة (إذا ضاق الأمر اتسع)، أي: وسعت الشريعة فيه برفع الحرج والتخفيف والتيسير.

❑ دليل القاعدة :

قول الله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ البقرة: ١٨٥

وقوله: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ الحج: ٧٨